بسم الله الرحمن الرحيم

التعليم العالي والتنمية

اعداد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن مبارك الجوير

Professor : Ibrahim M. Al Juwair

1998 - 1414

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن من قدر الأمة المسلمة أن يكون أول كلمة في وحيها الخالد كلمة إقرأ .. ولهذا لا تستغرب هذا الاهتمام بالتعليم في كل مراحله وفي مختلف العصور وحرى بنا أن نقف وقفة جادة وموضوعية لنقوم مسيرة التعليم والاجابة على السؤال الكبير إلى أي مدى قام التعليم العالي بدوره التنموي ولاجتماعي في خدمة الأمة ؟ وما السبل الكفيلة لضمان قيامه بهذا الدور المنشود ؟ اذ ليس التعليم لمحوما أو التعليم العالي هدفا في حد وأثر بل تجب أن يكون له ماوراءه من أهداف عليا تصب كلها في اتجاه خدمة ومسيرة الانسان .

مفهوم التعليم العالي :

يتفق معظم من كتب في الفكر التربوي على أن المقصود بالتعليم العالي هو مختلف مؤسسات التعليم من الدرجة الثالثة التي تأتي بعد التعليمين الأساسي والثانوي ، وهو يشمل مؤسسات متنوعة أشهرها الجامعات (١) حيث يمكن أن تتوسع وتتكامل معظم خدمات التعليم العالي فيكون كل مجال رافداً للآخر في جانب من الجوانب .

والتعليم العالي منه ماهو جامعي ومنه ماهو غير جامعي والمقصود بالجامعي هو المنسوب إلى جامعة أو ما فوقها وأما الغير جامعي فنقصد به التعليم العالي دون مرحلة الجامعة أي الواقع بين الثانوي والجامعي .

وقد بدأ التعليم الجامعي في المملكة مع تأسيس جامعة الملك سعود في الرياض عام ١٣٧٧هـ ، وإفتتاح كلية الآداب بها والتي دخلها في هذا العام حوالي واحد وعشرون طالبا كانوا هم نواة التعليم الجامعي داخل المملكة ، لكن التعليم العالي خارج نطاق الجامعة كان قد بدأ قبل ذلك بعدة سنوات بتأسيس كلية الشريعة في مكة المكرمة سنة ١٣٦٩هـ ومن بعدها كلية الشريعة بمدينة الرياض عام ١٣٧٣هـ ، وكلية اللغة العربية بالرياض عام ١٣٧٤هـ .

وهذا وقد سبق بداية التعليم العالي بالمملكة محاولات إبتعاث إلى الخارج وكانت أكثر البعثات في هذا الوقت ترسل إلى مصر ، حيث كانت من أكثر البلاد العربية إستعدادا لقبول الطلاّب والقرب للدراسة بها ، وكان التعليم الرسمي والجامعي قد بدأ مبكراً فيها منذ أيام محمد علي باشا الذي تولى ولايتها من قبل العثمانيين .

مفهوم التنمية :

في دراسة حول أنماط التعليم العالي الأكثر مناسبة لدول مجلس التعاون الخليجي صدرت عن وزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م تبين وجود أنماط تعليمية متعددة في هذه الدول مثل الإنتساب ، والتعليم العالي الأهلي الكليات المتوسطة الشاملة ، أو كليات المجتمع ، التعليم العالي النسائي ، التعليم العالي الفني (٢) وبعض هذه الأنماط يمارس

حتى الآن والبعض منها تمت ممارسته لبعض الوقت وتوقف العمل به نظراً لبعض الصعوبات التي واجهته ، على أنه مهما كان نمط التعليم العالي في أي مكان فإنه وظيفة التعليم العالي يجب أن تتركز في البحث والتنمية وخدمة المجتمع ، ومن ثم النهوض والإنسان والرقى به مادياً وحضارياً وفكرياً ، فما المقصود بعملية التنمية ؟ .

إن التنمية عملية دنيا ميكية ناتجة عن تفاعل مجموعة من المتغيرات الوظيفية والنبائية التي تحدث نتيجة لتفاعل الإنسان مع عناصر البيئة المختلفة بهدف إستثمار موارد المجتمع الذاتية إلى أقصى درجة ممكنة والإنتفاع بها ، وهي حصيلة لجهود علمية وعملية منظمة تتم من خلال الأنشطة الحكومية والشعبية وفقًا لخطة مرسومة في ضوء السياسة العامة للمجتمع ، وفي الواقع فليس هناك تعريف مجمع عليه من قبل الدارسين لمفهوم التنمية غير أنه يمكن أن نبرز أهم مجالات التنمية والتي إهتم بها الساسة والدارسون بإعتبار أن أحدهما يؤدى إلى الآخر وكلاهما يؤدى إلى التنمية بالمفهوم الشامل والتي الغاية منها والمواد هو النهوض بالإنسان (ماديًا ومعنويًا) وتحقيق الإستمتاع الكامل بمباهج الحياة .

فقد إتجه التخطيط المعاصر للتنمية إلى الإهتمام بالتنمية الإجتماعية – وهذا هو المفهوم الأول – لإرتباطها الوثيق بالتنمية الإقتصادية – وهذا هو المفهوم الثاني – من مفاهيم التنمية الشاملة ، في إشارة إلى الإهتمام بالإنسان لأن التنمية تعتمد على تراكم رأس المال والا ستغلال الأمثل للموارد الطبيعية بما فيها العنصر البشري ، والتقدم الفني والتقني وعلى النسب التي تمتزج بها هذه العوامل ، بالإضافة إلى الظروف السياسية والإجتماعية والثقافية المواتية وقد برز من بعض المهتمين بالتنمية من يميل إلى توسيع معادلة التنمية لتشمل العوامل المختلفة المحيطة بالفرد من النواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية والعقائدية ويرون أن العوامل الإقتصادية – رغم أهميتها – ليست كافية بمفردها لإحداث التنمية ، فللعوامل الإجتماعية والسياسية والتنظيمية أهمية كبيرة في التنمية (٣) ولما كان الإنسان هو صانع التنمية فإن الإرتقاء بمستوى معيشته والنهوض بمستواه الحضاري يصبح الهدف الرئيس للتنمية ، إذا ماهي جدوى التنمية التي لا تنهض بمستوى الإنسان وترفعه إلى المكانة التي يستحقها والتي من أجلها خلق .

إن التنمية التي لا تبدأ بالإنسان ولا تنتهى به هي تنمية ناقصة أو هي عرجاء فذلك بالإنسان يجب أن يكون دوماً محور عمليات التنمية كلها ، فهي تبدأ به بحيث تستفيد من طاقاته وإبداعاته وبه تعمل مروراً بإجتهاداته وآرائه ، ثم إنها تنتهي عند ما يصبح هو المستفيد الأول من جميع مخرجاتها ، والمستمتع بكل ما يعود منها وعن طريقها من خير .

العنصر البشرى رافد التنمية الأول :

هناك إتجاهان مختلفان في نظرة كل منهما للعنصر البشري ودورة في التنمية الإتجاه الأول ينظر إلى السكان والعنصر البشري كمتغير داخل التنمية يؤثر ويتأثر بالعوامل الإقتصادية

ويغلب على هذا الإتجاه النظرة التشاؤمية التي تقر بسلبية السكان على تنمية المجتمع ويعتبر (مالش) ومن أيد نظرتيه هم أرباب هذا الإتجاه وهم يرون أن السكان إذا لم يعق نحوهم عائق فإنهم يستمرون في مضاعفة عددهم مرة كل ٢٥ سنة على حين أن رقعة الأرض - مهما عني بها - لا يمكنها أن تنتج أربعة أمثال إنتاجها الأصلي بعد ٢٥ سنة أي أن القوت في ظل قانون القلة المتناقصة يتزايد وفق متوالية حسابية بينما يتزايد السكان وفق متوالية هندسية ، ولا يمكن خفض الزيادة في السكان إلى مستوى وسائل المعيشة إلا بعدد من العوامل التي تضبط أو تعوق زيادة السكان .. وقد وجدت نظرية (مالش) من يدافع عنها ويؤيدها ، مثل (جون ستيوراث مل)، كما وجدت من قام بنقدها والتقليل من شأنها مثل (أوجبرن) وقد فشلت نظرية مالش في تفسير بعض الظواهر التي حدثت بعد ذلك مثل زيادة السكان بالرغم من انخفاض دخل الفرد في الدول النامية ، مما ينفي العلاقة المباشرة بين الاجر والنمو السكاني ، كما أهمل (مالش) في حساب الموارد الغذائية دور الإختراعات والتقدم العلمي والتنظيم الإجتماعي في زيادة الموارد وياليت (مالش) حي يرزق اليوم ليرى كيف اتسعت أرزاق الناس وياليته كان حيًا ليرى كيف أن بني قومه من الأوربين والأمريكان وهم يتمتعون بخيرات الأرض حتى وصل معدل إستهلاك الفرد هناك يعادل ١٦ مرة إستهلاك الفرد عندنا ليعرف أنها ليست مشكلة ندرة أوقلة من الموارد بقدر ماهي سوء في عدالة التوزيع وجشع في الإنسان الذي يظلم ويجوع أخاه الإنسان .

أما الإتجاه الثاني ويعد إبن خلدون من أبرز مفكريه وهو يرى أن مستوى المعيشة وحجم ثروة المجتمع يعتمدان على عدد سكانه ، إذ تعمل زيادة السكان على زيادة العمران وتؤدى إلى تقسيم العمل وكثرة أنواع الأعمال في المجتمع ، وبالتالي يزداد الإنتاج عما يشبع حاجات السكان الضرورية فيتجهون إلى إنتاج السلع الكمالية ، كل هذا يؤدى بدوره إلى نمو صناعات جديدة .

وهناك من أنصار هذا الإتجاه كثير من الإقتصاديين الذين يرون الأثر الإيجابي للنمو السكاني على تنمية المجتمع ، إذ يرون أن زيادة السكان تمثل قوة ضغط من شأنها أن تؤدى إلى تغيير طرق وأساليب الإنتاج في الزراعة والتوسع في التصنيع وزيادة الإنتاج الأمر الذي يؤدى إلى الإسراع في التنمية . ويأتي (توني كلك) أن هذه الأرراء أي أراء بن خلدون ومن معه تعتبر صحيحة وفعالة بالنسبة للدول قليلة العدد حيث يعمل النمو السكاني في هذه الحالة على تحريك العوامل الإقتصادية والإجتماعية المختلفة في إتجاه تطوير المجتمع .

أما أنصار الإتجاه الأول الذي يرى أن النمو السكاني يعوق عملية التنمية فيرون « أن الزيادة في السكان لا تعنى فقط تأثيرها السلبي على عرض المواد الغذائية ولكن على برامج التنمية ككل ، فالزيادة السريعة في السكان الناتجة عن زيادة معدلات المواليد تعمل على خفض الإدخار ومن ثم معدل تكوين رأس المال كما تعمل على إستفحال خطر البطالة بأنواعها المختلفة (الظاهرة والمقنعة والموسمية) وهذا فضلاً عن الضغوط التي تسببها في الطلب على الغذاء والسكن والتعليم والصحة .

ونحن مع الرأى القائل بالإهتمام بالعنصر البشري وجعله فاعلاً في مجتمعه وناهضاً بمهمته ومسئولياته بحيث أن لا تكون الكثرة عددية فقط وإنما كثرة نوعية تقوم على تعليم الإنسان وتثقيفه وتفعيله في المجتمع ، وفي بحث د. محمود محمد سفر قدمه إلى الندوة الفكرية الأولى لرؤساء ومديري الجامعات الخليجية ، أكد على الإهتمام بالإنسان والنهوض به علميا وروحيا فقال « إن الله قد وهبنا ثروات طبيعية وافرة ولكننا نعلم أنها وحدها لا تحل المشكلة ، ومن هنا فإن التحدى الحضاري الذي نواجهه يعتمد على هذا الإنسان « عدداً وعدة وعطاءً ومقدرة » (٤).

وأننا يجب أن تفجر طاقاته الحضارية الكامنة ، وننفض الغبار عن عزيمته القوية الصادقة ، وأن هذا الإنسان بما يؤمن به من قيم تخفزه على العمل والإنتاج قادر على التحدى وعلى سد الفجوة الحضارية التي نشأت بيننا وبين الدول المتقدمة بمرور الوقت .

ولنا عبرة بتجارب الآخرين ، لقد تنبت اليابان أكبر حركة للترجمة شملت جميع المعارف والعلوم فكانت النتيجة أن انصهرت الأفكار الوافدة مع إمكانات الإنسان الياباني بتقاليده وقيمة وتراثه في بوتقة واحدة ، نقلت المجتمع الياباني إلى الصفوف الأولى في سلم التقدم العالمي من دون أي خسائر على مستوى القيم اليابانية .

وهنا نركز على أن المجتمع العربي والسعودي منه بصفة خاصة لديه من القيم والتقاليد مايعد مقومًا رئيسيًا لأي حضارة أو تقدم ولا ينبغي أن يفهم أن هذه القيم ضد الحضارة والتنمية والتقدم فعلينا الانفرط في هذه القيم تحت أي ظرف إن القيم التي تتمتع بها مجتمعاتنا التي يحلو للبعض أن يوسمها بأنها مجتمعات نامية أو حتى متخلفة نجد أن الحضارة الغربية بكل ما ؟أوتيت من إنجازات لهى في أمس الحاجة إلى قيمنا الخالدة التي تكرّم الإنسان وتضعه في المرتبة اللائقة به ، علينا أن نفخر بهذا الجانب في نموذجنا الحضاري – جانب القيم – والتعليم العالي إذا لم يقم على حماية هذه القيم وترسيخها فقد تصل مجتمعاتنا العربية في أزمة ساحقة جداً يهدد الجيل العربي كله بل والعالم بأسره ، خاصة إذا ذكرنا أن هذه المجتمعات لاتزال بعيدة عن البناء العلمي والصناعي الذي يشهده العالم ومعنى ذلك أن مجتمعنا قد يحمل الغرم دون أن يصيب الغنم وقد يفقد الحسنين معًا – كما يقول الدكتور/ عبدالله عبدالدايم – فلاهو أصاب التقدم التقني والصناعي الذي يدفع ضريبته وفديته ولا هو حفظ قيمه وتراثه وسلطان مؤسساته التقليدية .

إن الإنسان عليه مهمة كبيرة في قيام النهضة أو فشلها وليس الموارد الطبيعية ولا الموقع الجغرافي ولا الظروف المواتية ، وهذا ما جعل بعض التربويين العرب إلى القول بـ « إن أهم شيء في العصر الحديث في ثروة الأمم هو القوة البشرية حيث أن هذا المصدر من الثروة هو الذي يتوقف عليه تحويل الصادر الطبيعية إلى أشياء مفيدة يحسن إستغلالها وتدبيرها وتوجيهها إلى خير المجموع كما يتوقف عليه إبعاد الأمة عن أن تكون موضع أطماع الآخرين » .

كيف يؤدى التعليم (٥) العالي دوره في التنمية ؟

ينبغي التنبيه على أن التعليم العالي – على أهميته في مسألة التنمية إلا أنه حلقة ضمن سلسلة حلقات تبدأ من التعليم في دور الحضانة والروضة مروراً بالمتوسط والثانوي وإنتهاءً بالجامعة ورسائل الماجستير والدكتوراه وينبغي أن تتكامل هذه الحلقات لكي تؤدى رسالة متوازنة ومتكاملة . فالذي يدقق النظر في التجربة اليابانية بإعتبارها تجربة رائدة في ذلك – يجد أنهم يدرسون العلوم للتلاميذ في المرحلة الإبتدائية حتى السنة الأولى بواقع ساعتين أسبوعياً وكذلك في السنة الثانية ثم تزداد جرعة العلوم في السنتين الثالثة والرابعة إلى ثلاث ساعات أسبوعياً ، ثم إلى أربع ساعات في السنتين الخامسة والسادسة .

ثم تضاف في المرحلة الإعدادية التي تعادل المتوسطة عندنا الفنون الصناعية بواقع ثلاث ساعات أسبوعياً على مدار الأعوام الثلاثة ، ثم يدرسون موضوعاً مهنياً بواقع ساعة أسبوعياً في السنتين الأوليين ، ثم تضاعف الجرعة لتصبح ساعتين في السنة الثالثة .

وفي المرحلة الثانوية يدخل علم جديد هو علم الأرض وهو يشمل الغلاف البحري والمناخ والتربة بالإضافة إلى الرياضيات والطبيعة والكيمياء وغير هذه الأشياء التي تهم المجتمع الياباني .

وإلى النظام الأمريكي تنتقل حيث ترى أن مناهج الدراسة في كليات المجتمع تشتمل على مقررات في المحاسبة وإمساك الدفاتر وتصليح السيارات والمحركات وعلى الإلكترونيات وتحليل المعلومات وعلى تحليل المعلومات الإدارية والتسويقية وعلى تكنولوجيا الإشعاع وصحة الحيوان والإتصالات والمواصلات وعلى علوم الزراعة وما يتعلق بها من أعمال وكل هذا يعكس طبيعة الحياة في المجتمع الأمريكي المعروف بغناه وتنوع مصادر الرزق والعمل فيه ، وعندما واجهتهم أزمة الطاقة في عام ١٩٧٣م سارعوا بالإهتمام بالطاقة وقاموا بتدريسها في معاهدهم ، وكلف أحد مستشاري الرئيس كارتر في ذلك الوقت بتأليف كتاب سماه « التربية الطاقية » .

وكانت الأسس التي قامت عليها هذه الدراسات تقوم على :

- تعلم كيفية التعامل مع منجزات الطاقة داخل المنازل .
- تعلم كيفية تركيب أدوات الطاقة الشمسية .
- تعلم كيفية زيادة فعالية مصادر الطاقة والإستفادة القصوي منها .
- تعلم كيفية إختيار مواقع المباني بحيث تستفيد الإستفادة القصوى من الطاقة الشمسية

إلى آخر ما يمكن أن يوضع تحت هذا العنوان وبطبيعة الحال فإن التعليم العالي من الممكن أن يرفد متطلبات التنمية في واحد أو أكثر من الأشياء التي ينبغي توافرها إذ أن للتعليم العالي وظيفتان لا تخطئهما عين الباحث وهما :

- وظيفة التعليم والبحث والتنوير .
- وظيفة خدمة المجتمع فيما يحتاج إليه من مقومات البعث الحضاري والتنمية .

ومن خلال هاتين الوظيفتين يمكن للتعليم العالي أن يؤدي دوره في البناء الحضاري والتنموي .

- فالتعليم العالي يرفد المجتمع بأعداد كبيرة من الكوادر العلمية والفنية المتخصصة في مجالات الحياة المختلفة وقد ذكرنا أن أهم عناصر التنمية هو الإنسان ، هذا الإنسان يؤهل عن طريق التعليم العالي سواء في الجامعة أو مراكز الأبحاث والتدريب التابعة لها أو الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه التي تتم بعد المرحلة الجامعية .
- والتعليم العالي بأنظمته المختلفة يتيح الفرصة أمام النابغين للدراسات العليا في التخصصات العلمية والتخصصية المختلفة .
- والتعليم العالي يقوم بدور رئيس وإيجابي في ميدان البحث العلمي الذي يسهم في مجال التقدم العالمي في الآداب والعلوم والمخترعات وإيجاد الحلول السليمة الملائمة لمتطلبات الحياة المتطورة وإتجاهاتها التقنية .
- عمل الدراسات والأبحاث والإحصائيات اللازمة لاتخاذ القرارات الإدارية والتنظيمية لأي قرار تنموي فضلاً عن توفيره للكوادر المدربة على القيام بمثل هذه الدراسات التجديدية لنقل الباحثين من المجال النظري إلى التطبيق العملي .
- وعن طريق النهوض تجربة التأليف والترجمة للدراسات والأبحاث العلمية بما يطوع العلوم لخدمة المجتمع وخصوصاً التجارب التي ثبت نجاحها في الغرب ونقل هذه التجارب والخبرات الإنسانية الرفيعة التي مجتمعنا العربي والإسلامي وكذلك نقل وترجمة مختارات من تراثنا العلمي والفقهى والفكري الإسلامي إلى لغات العالم المختلفة لكي يتم التبادل العكس للمعلومات ما يسهم في النهوض العام بالحضارة الإنسانية .

الهدف الأساسي للتنمية :

ثبت في الأدبيات الإجتماعية والإقتصادية أن الهدف الأول لأي برنامج تنمية على وجه الأرض مقصود به خدمة الإنسان ، كما ثبت كذلك أن الإنسان هو المحور الأساسي الذي تقوم عليه كل جهود ومتطلبات التنمية ، فهو من التنمية وهي منه لأن الإنسان المتعلم إنسان صحيح البدن ، مثقف الفكر ، قادر على الكسب ، منظم في شؤونه متين الخلق وإنسان هذا وضعه لابد أن يكون عنصراً إيجابياً من عناصر التنمية التي تقوم على أساسها . ويكفى أن نسترشد هنا بماقاله الإقتصادي الشهير « ألفردمارشال » من أن فئة متعلمة من الناس لا يمكن أن تعيش فقيرة ، لأن الإنسان بالعلم والمعرفة ، والوعي ، والطموح ، والقدرة على العمل والإنتاج والقدرة على التجديد والإبداع ، يستطيع أن يسخر كل قوي الطبيعة ومصادرها ومافي باطن الأرض ومافوقها لمصلحته والإرتفاع بمستوى معيشته وتحقيق حياة كريمة له .. » (٦) فالإنسان هو هدف وغاية أي بناء تنموي ، من أجل ذلك فقد تأكد لدى الشعوب جميعاً أن أهم عامل في ثروة الشعوب وإزدهارها الإقتصادي يتمثل فيما تملكه هذه الشعوب من أفراد مزودين بالعلم والمهارات التقنية

والقدرة على التكيف والإنتقال السريع – في الوقت المناسب – من شكل من أشكال الإنتاج إلى شكل آخر .

من أجل هذا كله أصبحت نظريات التنمية الحديثة تؤكد أن التنمية البشرية هي القوة المحركة للنمو الإقتصادي ، بعد كانت النظريات التقليدية تعتبر النمو الإقتصادي مجرد نتيجة لتراكم رأس المال المادي وتوسع القوة العاملة . والنظريات الحديثة تؤكد أن ما يزيد الإنتاجية ليس عاملاً خارجيًا ، بل هي عوامل داخلية ترتبط بسلوك الناس المسئولين عن تراكم عوامل الإنتاج والمعرفة ، وبعض النظريات ترى أن أهم العوامل الحاسمة في موضوع النمو هو حدوث زيادة عامة في رأس المال البشري بينما ترى بعض النظريات الأخرى أن المصدر الرئيس لنمو الإنتاج يتمثل في عنصر البحث والتطوير ، وإن كان عنصر البحث والتطوير يتوقف بدوره على رأس المال البشري لذلك نجدهم في الغرب يخصصون الآن ومنذ سنوات دراسات عن تنمية الموارد البشرية.

التنمية والتعليم العالي دراسة وتخطيط :

الإنسان هو قائد عملية التنمية لكنه الإنسان المتعلم وليس الجاهل أو الأمي لكن المسألة ليست بهذه البساطة ، فليس بمقدورنا بسهولة أن نقوم بتنمية شاملة تقوم على أسس علمية دقيقة من غير أن تعترضنا كثير من المشكلات التي تواجه مجتمعات في مثل ظروفنا ، والواقع أننا في مجال التعليم عمومًا والتعليم العالي خصوصًا حققنا معدلات نمو عالية جدًا لم تحققها كثير من الدول حتى المتقدمة منها ، لقد وصلت نسبة النمو خلال الفترة من ١٤٠٤/١٤٠٥ إلى ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى ٦ر٤٣٪ في المؤسسات التعليمية وفي أعداد الطلاّب وصلت نسبة النمو إلى ٨ر٦٣٪ وفي أعداد الطالبات وصلت نسبة النمو إلى ٣ر١١٠٪ وفي المعلمين والمعلمات إلى ٩ر٤١٣٪ ولكن هذا لا يكفي ، فمازال أمامنا شوط طويل ويكفي أن تذكر أن هناك إختلالات حاصلة في هذه المعدلات منها زيادة الإهتمام بالعلوم الإجتماعية والإنسانية عن العلوم الطبيعية والتطبيقية ، وأن أعداد الطالبات قد فاق بمراحل أعداد الطلاّب ، ثم بعد ذلك فإن أعداد كبيرة من الخريجين تفضل العمل الإداري والنظري عن العمل الميداني والفني .

إن نسبة القيد في جميع مراحل التعليم لمن أعمارهم ٦ إلى ٢٣ سنة وصلت لدينا إلى ٣٦٪ عام ١٩٨٠م وإرتفعت إلى ٥٠٪ عام ١٩٩٠م .

وفي كوريا وصلت هذه النسبة إلى ٦٦٪ عام ١٩٩٨م ثم إرتفعت إلى ٧٤٪ خلال المدة نفسها وكانت نسبة القيد في كليات العلوم الطبيعية والتطبيقية إلى مجموع القيد في التعليم العالي وصلت لدنيا إلى ١٦٪ لعام ١٩٩٢م ووصلت في جمهورية كوريا إلى ٤٠٪ وفي هونج كونج إلى ٣٥٪ وفي الصين إلى ٤٧٪ خلال نفس العام .

وأن عدد العلماء والقنيين المشتغلين بالبحث والتطوير لكل ١٠٠٠ نسمة لدينا ٠ر٤٪ وذلك للمدة من ١٩٨٨/١٩٩٢م بينما كانت هذه النسبة في جمهورية كوريا خلال نفس الفترة ٣ر٢٪

وفي سنغافورة ١ر٨٠ وأن نسبة الخريجين في التعليم العالي بحسب ميادين الدراسة لدنيا في مجال العلوم والهندسة ١٦٪ بينما في كوريا ٤٠٪ والصين ٤٥٪ لذلك يجب أن يصبح التخطيط لتعليم عموماً والتعليم العالي بصفة خاصة هو محط إهتمامنا خلال العقد القادم فيما يتعلق بتنميته وتطويره وتقويمه ووضع المناهج المناسبة والأطر المتميزة القادرة على الإنتاج والعطاء وتلبية حاجات المجتمع في سوق عالمي ينذر بمنافسة شديدة في هذا السياق .

وستبرز لنا بعض الشكلات ، مشلكة بطاقة الخريجين ، وليكن ينبغي تحقيق المزيد من التعليم العالي المتطور في كمه ونوعه وتخصصاته هذا المزيد يأتي في صلب التخطيط للتنمية والذي يقود ويواكب عمليات التنمية في الزراعة والصناعة والطب والهندسة والخدمات والمعلومات .. وفي الوقت نفسه نزيده تعليماً عالياً ينتقل بنامن عالم الخيال والنظريات إلى عالم الصناعة والمعلومات ومن النشر إلى التجريب ومن الآداب والإجتماع إلى الطبيعي والتطبيقي ، كل هذا يحتاج إلى دراسة وتخطيط ووضع مناهج ومقررات وليس ذلك على الله بعزيز فقد حققت بعض الدول هذه التحولات الكبيرة في أنماط التعليم فماليزيا مثلاً كانت العلوم الإنسانية والإجتماعية تهيمن على التعليم العالي فتدخلت الدولة وعدلت حصص القبول ونتج عن ذلك هبوط نسبة الطلاّب في هذه المجالات إلى ٨٠ر٤٥٪ عام ١٩٧٠م بعد أن كانت ٨٠ر٥٦٪ وإرتفعت نسبة طلاّب العلوم والهندسة من ٢ر٤٣٪ إلى ٥٤٪ عام ١٩٨٩م ومثل هذا حدث في كل من سنغافورة وتايوان (٧) .

والفرد المتعلم تعليما حقيقياً قادر على إيجاد فرصة عمل ، إنه مولد التنمية الأول وليس مجرد بمن على المجتمع ، وعلينا دراسة الواقع التنموي الحالي دراسة ميدانية متأنية وبحث نقاط القوة والضعف ومحاولة سد الثغرات في البناء التنموي القائم لكي نضع خطط طويلة الأجل لخمس وعشر سنوات على الأقل مبيناً فيها تفاصيل هذه الخطط ودور كل قطاع من قطاعات المجتمع بمافي ذلك التعليم عموماً والتعليم العالي بصفة خاصة .

ثم ندرس حال التعليم عندنا تاريخياً والبحث في إيجابيات هذه القفزة في نباعنا التعليمي والتربوي وإيجابيات ذلك وسلبياته والإنطلاق من حاجة المجتمع وحاجة التنمية إلى وضع مناهج ومقررات وإتخاذ خطوات جادة في هذا المجال آخذين في الإعتبار بطبيعة الحال النماذج العالمية السباقة في هذا الميدان .

منطلقات التنمية في الإسلام :

بداية نؤكد على أن هناك فرقاً كبيراً بين ما يتطلبه الإسلام كنموذج شامل لحياة الإنسان وبين الواقع الذي يعيشه المسلمون ، إذ من العلوم أن معظم دول العالم الإسلامي تصنف تحت عنوان الدول النامية أو الآخذة في النمو وبعضها يوصف من غير مبالغة بالدول المتخلفة ، فهل النظام الإسلامي هو السبب في ظاهرة تخلف المسلمين ؟ لكن من السهل أن نجيب على هذا

السؤال لسؤال آخر .. وهو وأين المسلمون من الإسلام ؟ . إن كل من كتب في هذه النقطة وإستقرأ تاريخ المسلمين القديم والحديث يدرك بمالايدع مجال لشك أن المسلمين أمام كانوا مسلمين سادوا الدنيا وعمروا الأرض وفتحوا البلاد وحرروا العباد حتى وقف أحد خلفاء المسلمين وينظر إلى سحابة في عرض السماء ويقول لها « أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك » ما يدل على إتساع رقعة الدولة الإسلامية بينما كان الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز وهو الذي تولى إمارة المسلمين فترة يسيرة في عمر الزمن يأمر الولاة نبثر الحبوب على الجبال حتى تأكل الطيور ويأمر بقضاء الدين عن المدينين وتزويج الشباب الذي بلغ سن الزواج .. إلخ قل ذلك لأن هؤلاء عرفوا الإسلام على حقيقته وعرفوا كيف يعيشوا مسلمين وهنا تجمل أهم منطلقات التنمية في الإسلام .

١ - الإيمان بالله سبحانه وتعالى :

والإيمان قوة تدفع الإيمان إلى البذل والعطاء وتدفعه دفعًا إلى الإيجابية والتفاعل مع حركة الحياة ، إنه ليس خاطرة في القلب بين العبد وربه ولكنه حركة دؤوب تجعله يعمل وينتج حتى آخر لحظة من حياته حتى الغسيلة التي بيده تحملها والساعة تقوم فإن إستطاع الا تقوم الساعة قبل أن يغرسها فإنه يغرسها ومهمة المؤمن في الحياة عبادة الله وحده والعبادة عمل مفيد نافع ينتفع به الفرد نفسه ويستفيد منه المجتمع ، والخلافة هي مهمة الإنسان المقررة من قبل رب العزة سبحانه وتعالى « وإذ قال ربك للملائكة إلى جاعل في الأرض خليفه ... » والخلافة تعني فيما تعني الاعمار والإصلاح والله سبحانه وتعالى يطمئن المؤمنين العاملين فيقول لهم في محكم كتابه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » فإذا كان الناس لم ينتبهوا إلى جهدكم فإن المولى سبحانه ونبيه عليه الصلاة والسلام سوف ينظرون إلى عملكم هذا ويثمنوه وكذلك المؤمنون وإذا كان الله يرى عملكم ورسوله كذلك فإن من واجبكم أن تحسنوا عملكم وإنتاجكم « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » الإسلام يدعو المسلم إلى العمل الهادف الجاد وليس هذا فحسب وإنما العمل المتقن كذلك .

٢ - الإنسان :

ذلك الكائن الذي خلق الله من أجله الكون وسخره كل شيء هو هدف وغاية الإسلام في بنائه الحضاري ، وقد كرمه الله سبحانه وتعالى ورفع من شأنه وجعله فوق كل الخلائق وهو وحده مناط التكليف الرباني مع أن الله سبحانه خيره في حمل أمانة التكليف فإختارها طائعًا غير مكره في حين أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وهنا ينبغي لكي يقوم الإنسان بدورة في التنمية فيجب على واضعي خطط التنمية في عالمنا الإسلامي الإهتمام به ماديًا وروحيًا ، ثقافيًا وفكريًا ، حتى يكون بحق عنصرا إيجابيا فاعلاً في أخذ المبادرة والنهوض بمجتمعه ، ولعل الإسلام يتميز عن غيره من الأنظمة الأرضية في هذه النقطة بالذات وهي نقطة الإهتمام بالإنسان

بإعتباره من أهم العوامل المؤثرة في نهضة المجتمع ونموه ، فإذا كانت الإشتراكية تسأل : كيف تقوم التنمية ؟ في إشارة إلى قضية عدالة التوزيع التي تبني عليها الإشتراكية أيد يولوجيتها ، والرأسمالية تسأل : بم تقوم التنمية ؟ في إشارة إلى عناصر الإنتاج من رأس المال والأرض والنظم وغيره فإن الإسلام : ليسأل : بمن تقوم التنمية ؟ في إشارة إلى الإنسان ولعل ذلك ما دفع سيدنا يوسف عليه السلام أن يطلب من عزيز مصر أن يكون هو على رأس منفذي خطته التي وضعها بنفسه للنهوض بالأمة من سنوات الفقر والعوز إلى سنوات الخير والرخاء . إن أعظم خطة في التاريخ يمكن أن تتكر على أيدي بشر لا يتفانون من أجل تحقيقها وخطة تنموية بسيطة متواضعة يمكن أن تنجح إذا وجدت من يقف وراءها بجد وحماس وتفان وإخلاص .

٣ - الإستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج المختلفة :

من المعلوم أن هناك كثيرا من الموارد الطبيعية قدرها الله لنا بل ومن الدواب والبحار والأنهار سخرها الله سبحانه وتعالى لنا وإن التعامل الأمثل مع مثل هذه الموارد هو صيانتها والمحافظة عليها والإقتصاد في إستعمالها ، حتى الماء يومياً الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم الإسراف فيه أثناء الوضوء ، وعدم إهدار هذه الموارد من الأمور الهامة في شريعة الإسلام .

ونعم الله كثيرة جداً لايخص ولا تعد « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » والإسلام يوحيا باستغلال كل طاقة يمكن أن تفيد في عجلة التنمية إغتنام الأوقات وإستثمار الفائض من المال ، وعدم إهدار طاقة الشباب في اللهو العبث ، وتقدير العمل والعاملين ورفع شأنهم وتحريم التبذير والإسراف وجعلهم الله سبحانه إخوان الشياطين « .. ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » .

٤ - المال مال الله ونحن مستخلفين فيه :

وهذه ميزة أخرى يتميز بها الإسلام عن غيره ، إن زيادة معدلات التنمية في المجتمع المسلم لا تجعله يطغى أو يستعلى على المجتمعات الأخرى أو يستعبدهم بل إن واجب المجتمع الإسلامي أن ينشر الخير بين الأمم والشعوب وأن يعود خيره عليهم كما كان يعقل عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه بعض الأمم تنمو فتطغى وتستعلى وتذل العباد وتحتل البلاد وهذا مانهانا عنه الإسلام ، بل إن المسلمين حتى مع أعدائهم « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً » .

لأن المال حينما يأتي من حلال ويذهب في حلال تكون المعادلة صحيحة ويزداد الخير والنماء كما يقول المولى سبحانه « لئن شكر تم لأزيدتكم » وشكر النعمة يأتي بالمحافظة عليها والإنفاق منها على الفقراء والمحتاجين فإذا كان هذا شأن المجتمع الإسلامي مع المجتمعات الأخرى فإن حال المسلم مع إخوانه يكون كذلك ، وقد حض الإسلام نعمة المال بعبادة الزكاة وجعلها ركن الإسلام الهام الذي يحقق معنى التكافل الإجتماعي « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

منطلقات التعليم العالي في الإسلام :

للتعليم في الإسلام منزلة خاصة فيكفى أن أول كلمة نزلت من القرآن على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم « إقرأ » باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسام من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » هذه السورة الرائعة في لفظها ومعناها إلى ماذا ترشدنا ؟ ترشدنا إلى أهمية العلم وأدائه القلم في حياة هذه الأمة وحينما يقول النبى صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ويقول « إطلبوا العلم ولو في الصين » فليس بعد هذا ما يدلنا على مكانة العلم ونظرة الإسلام السامية له وتكريم العلماء والمتعلمين ، فحتى النمل في الجحر والسمك في البحر والحوت ليصلون على معلم الناس الخير .

وغاية التعليم في الإسلام ، فهم الإسلام فهما صحيحًا متكاملاً وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها ، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية والمثل العليا ، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الإتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع ثقافيا ، وإجتماعيا وإقتصاديا وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعًا في مجتمع (٨) .

ولكي يحقق التعليم العالي غاياته تلك فهناك مجموعة من الإعتبارات يجب أخذها في الإعتبار منها .

(أ) المعلم :

فقد نسب لبعض السلف قولهم « أنك إذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل إلا إذا كان للمعلم من التقوى نصيب وأفر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر .. » وهم قد قالوا ذلك لأنهم يعلمون أن صفات المعلم أسرع إنتقالا في المجتمع من صفات غيره من الناس وهناك رواية لطيفة للإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، فقد قيل له : في المسجد أساس يجلسون في حلقة للنظر في الفقه ، فقال : ألهم رأس ؟ قالوا : لا ، قال : لا يفقه هؤلاء أبداً (٩) لقد صدق الإمام ، لأنه جعل المدرس رأس العملية التربوية ولقد رفع الإسلام من شأن المعلمين فقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من علم القرآن وعلمه » وهاك شوقى أمير الشعراء يرفع المعلم ولى أن يضعه وشيكا من درجة النبوة قم للمعلم وفه التبجيلا : كاد المعلم أن يكون رسولا إنه مهما تسارع تطور وسائل التعليم ومهما تقدمت تكنولوجيا التربية قلت يصح التعليم إلا بمعلم وسيظل للمعلم دور الرأس ، وستبقى العملية التعليمية جسداً مبتوراً ما غاب عنها الرأس (المعلم) وقد حرصت المملكة العربية السعودية على الإهتمام بالمعلم في كافة مراحل التعليم بين الروضة والحضانة إلى مستوى التعليم العالي وبعثت الكثير من أبنائها خلال السبعينات والثمانينات إلى بعثات خارجية لتحصيل العلوم والدراسات العلمية المتخصصة ولم تآل جهداً في توفير المعلم المتميز وقامت بإستقدام المئات من الأساتذة المتخصصين في العلوم الشرعية من مختلف بلدان العالم الإسلامي ووفرت لهم كافة الإمكانيات والتسهيلات اللازمة للقيام بدورهم على أكمل وجه .